ISSN(Print): 1813-4521 OnLine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.mabdaa.edu.iq

المشترك اللفظي بين الاثبات والانكار

د . عمر عبدالعزيز خليل
وزارة التربية المديرية العامة لتربية الانبار الاعداد والتدريب

المقدمة

الحمد لله رب العالمين , الصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد بن عبدالله النبي الأمي الأمين , وعلى أله وأصحابه ومن تبعه الى يوم الدين . وبعد فقد اشار علماؤنا الى وسائل التنمية اللغوية للعربية ومنابعها , لتبقي بها لغتنا ثرة معطاء , تلبي اشواق الروح , والمطالب المتحددة للحياة والأحياء . واللغة متعلقة بحياة المجتمع , فالمدلولات تأتي في أذهان الأفراد وتظهر في ألفاظهم . فالمعاني تسبق الألفاظ . ومن علاقات المعاني بالألفاظ في العربية علاقة الاشتراك .بهذا بحث لغوي في المشترك اللفظي الذي قمت به وقد تناول هذا البحث الاساس النظري للمشترك اللفظي بمنهجية بحثية وصفية تحليلية املا ان تكون نواة للدراسات العملية القادمة بهذا الموضوع , وقد بدأت فيه بالسرد عن مفهوم المشترك اللفظي مع الأخذ من بعض تعريفات العلماء عنه والأمثلة التي وردت في بابه . ثم عرضت بعده عن اسباب نشأة المشترك اللفظي مع إتيان الألفاظ المشترك اللفظية عند كل سبب مع مراعاة نسبتها الى قائلها , وتوضيح الدلالة التي يقع فيها الاشتراك . فاعرض من بعده أراء العلماء فيه مع أدلتهم وحججهم في وقوع المشترك اللفظي من كلام العرب أو من عدمه . وأردفت أراء علماء اصول الفقه لما عندهم من صلة وثيقة مع المبادئ اللغوية . ولما وجدت في الحقيقة الشرعية منطلق تنطلق من الحقيقة اللغوية في فهم كتاب الله وسنة رسوله . ولا أنسى في كل عرضي للقضية قارنته بالأمثلة لتكون أوثق وأدل . ولإتمامي هذا البحث قد استعنت ببعض المصادر والمراجع , كالمزهر للسيوطي , والدراسات اللغوية في المشترك اللفظي للدكتور توفيق محمد شاهين , الذي أخذت منه كثيراً واقتبست من نصه جما . والكتب الأخرى التي جمعتها في قائمة مخصوصة في أخر بحثي .

المبحث الأول : مفهوم المشترك اللفظي

للغة العربية ثروتها الموفورة مستمدة من مصادرها الأصلية . ولها ظواهرها المختلفة من كل نواحيها الصوتية واللفظية والتركيبية والدلالية . واحدة من مقوماتها , المشترك اللفظي فهي علامة واضحة في لغتنا وهو بكثرته خصيصة لها , وعامل تنميتها وقد اعتنى العلماء له وأشاروا إلى شواهده وألقوا فيه من افكارهم مؤيدين أم منكرين .وأنهم قد قاموا بهذه الخصيصة اللفظية وعلاقاتها بالمعاني دراسة قسموا من بينهما الالفاظ – بحسب ارتباطها بالمعاني – أقساما اهمها ما ذكره سيبويه من أنها على وجه التالي :

١- اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين , نحو جلي وذهب

٢- اختلاف اللفظين واتفاق المعنيين , نحو ذهب وانطلق

٣- اتفاق اللفظين مع اتفاق المعنى , نحو وجدت عليه من الموجدة , ووجدت اذا اردت وجدان الضالة والقسمان الأخيران يعدان من وسائل نمو اللغة وسعة التعبير فيها عن طريق دلالة الالفاظ بما يسمى بالاشتراك التضاد والترادف . وبالتالي نريد ان نعرف بعض تعاريف العلماء في الاشتراك قديماً وحديثاً , حتى يبدو لنا فيما ذهبوا إليه في حقيقة وقوع الاشتراك من الكلام العربي

---

١. عليم اللغة بين القديم والحديث , د عبدالغفار حامد هلال , ص. ٢٨٦ .

يقول سيبويه في كتابه (باب اللفظ والمعاني) :

((اتفاق اللفظين والمعنى مختلف , نحو قولك : وجدت عليه من الموجودة , ووجدت إذا أردت وجدان الضالة . وأشباه هذا كثيراً))[١] .

ويقول المبرد في كتابه (ما اتفق لفظه واتفق معناه) :

((وأما اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين , فنحو : وجدت شيئاً إذا أردت وجدان الضالة , ووجدت على

الرجل من الموجودة , ووجدت زيداً كريماً : علمت))ثم عرف السيوطي عن المشترك اللفظي بأنه ((اللفظ الدال على معنيين مختلفين فأكثر , دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة))[٢] ونكتفي بهذه الثلاثة من القدماء لنقف من بعدهم بعض تعاريف المحدثين عن المشترك اللفظي من هؤلاء , د. عبدالغفار حامد هلال الذي صرح في كتابه بأنه ((دلالة اللفظ على معنيين أو أكثر على التساوي))[٣] .ثم عالج أيضاً د. علي عبدالحميد وافي عنه هو ((أن تكون للكلمة الواحدة عدة معان تطلق على كل منها على طريقة الحقيقة لا المجاز))[٤] .

---

١. المشترك اللفظي اللغوي نظرياً وتطبيقاً , د . توفيق محمد شاهين , ص.٢٧ , ط. الأولى , م. وهبة, ١٩٨٠ م .
٢. فصول في فقه العربية , د. رمضان عبد التواب , ص. ٣٢٤, ط. السادسة, م. الخانجي, ١٩٩٩ .
٣. علم اللغة بين القديم والحديث, د. عبدالغفار حامد هلال, ص. ٢٨٦ .
٤. فقه اللغة, د. عبدالواحد وافي, ص. ١٨٣ .

فقد عرف ايضاً د. توفيق محمد شاهين عنه ((هو ما اتحدت صورته واختلف معناه , على عكس المترادف))[١]بعد أن تأملنا تعاريف العلماء عن المشترك اللفظي نكاد لم نجد منهم أي إنكار أو تعارض من حكم وقوع المشترك اللفظي في اللغة إلا أن المحدثين خالفوا سلفهم في بعض أسباب وجدو المشترك اللفظي كالاستعمال المجازي , أ, تطبيقات الاستخدام , والاختلاف الناتج عن تعدد السياقات اللغوية , من حيث أن هذا الاختلاف أمر معلوم , إذ أن اللغة تطورت واتسعت بمطالب الحياة والأحياء , أ, لأن المعاني غير متناهية والألفاظ متناهية . فتنوع معناه أتى من تنوع استعماله ولو اشترك في لفظه .فهذا منطق اللغة غير منطق العقل ولو تساوى لوجب ألا يكون اللفظ الواحد سوى معنى واحد , وألا يكون للمعنى الواحد سوى لفظ واحد أيضاً . ولكن اللغة كما رأينا في كثير من جوانبها لها منطق خاص يبدو – في أكثر الاحيان – على جانب كبير من الغرابة حيث تجعل للفظ الواحد أكثر من معنى , وللمعنى الواحد أكثر من لفظ حتى قال العلماء ((هي العرب تقول ما تشاء))[٢] ولا شك أن التعبير يتسع عن طريق المشترك اللفظي . وقد أدت كثرة المشترك اللفظي في العربية على ذيوع ظاهرة ((التوبة)) , وهي عبارة عن استخدام الالفاظ المشترك اللفظية في معان غير متبادرة منهاوذلك كأبيات الخليل التي راواها أبو طيب بالسند عن الحرمازي التي مطلعها يا ويح قلبي من دواعي الهوى إذ رحل الجيران عند الغروب

---

١. المشترك اللفظي اللغوي نظرياً وتطبيقياً , د. توفيق محمد شاهين, ص٢٨ .
٢. المرجع السابق , ص. ٢٩ .

انتبعتهم طرفي وقد أزمعوا ومع عيني كفيض الغروب
بانوا وفيهم طفلة حرة تفتر عن مثل افاجي الغروب .[١]

فالغروب الأولى : لغروب الشمس والثانية : للدلو العظيمة , والثالثة : بمعنى الوهاد المنخفضة .

هذا – كما ذكرنا – أن المشترك اللفظي يوسع من القيم التعبيرية , ويبسط مداها اللفظي .

هذا ومن الجدير بعد عرضنا لمفهوم المشترك اللفظي أن نذكر أمثلة من المشترك اللفظي توثيقاً ودليلاً لما أتينا منه , فمن أمثلته :

((في الصحاح : الأرض المعروفة , وكل ما سفل فهو أرض , والأرض : أسفل قوائم الدابة , والأرض : النفضة والرعدة . قال ابن عباس في يوم زلزلة : أزلزلت الأرض أم بي أرض , والارض :الزكام, والأرض : مصدر أرضت الخشبة تؤرض ارضاً فهي مأروضة إذا أكلتها الأرضة))[٢]((
وقال الفارابي في ديوان الأدب في ذكر معاني العين , العين : عين الركبة . والعين : عين الماء .والعين : الديدبان . والعين : عين الشمس . والعين : حرف من حروف المعجم . وعين الشيء : خياره . وعين الشيء : نفسه . ويقال لقيته أول عين أي أول شيء , ويقال : ما بها عين : أي أحد . أنتهى))[٣]ووردت كلمة (العجوز) التي روي لها صاحب القاموس أكثر من سبعين معنى , وهي : ((الإبرة , والأرض, والأرنب , والأسد , والألف من كل شيء , والبحر , والبطل , والبقرة , والتاجر , والترس , والتوبة))

---

١. المشترك اللفظي اللغوي نظرياً وتطبيقياً , دز توفيق محمد شاهين , ص. ٣٠ .
٢. المزهر . للسيوطي , ص. ٢٩٨ .
٣. المرجع السابق , ص. ٢٩٩ .

والثور , والجامع , والجعبة , والجفنة , والجوع , وجهنم , والحرب , والحرية , والحمى , والخلافة , والخمر , والخيمة , ودارة الشمس , والداهية , والدرع للمرأة , والدنيا , والذئب , والذئبة , والراية , والرعشة , والرخم , والركمة , ورملة معروفة , والسفينة , والسماء , والسن , والسموم , ... الخ))[١]

ووردت الالفاظ المشتركة اللفظية في القرآن كثيرة , منها : ﴿ أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا ﴾[٢] فلامس بمعنى : مس البشرة , ولامس بمعنى : جامع .

وفي آية أخرى ﴿ كالمهل يغلي في البطون ﴾[٣] فالمهل بمعنى : عكر الزيت المغلو , والمهل : ما أذيب من المعادن , والمهل : قيح ودم صديد .

وأخرى ﴿ كأنهم حمر مستنفرة . فرت من قسورة ﴾[٤] فالقسورة بمعنى : أسد , والقسورة : رماة صيادون .وفي آية وردت في بعض الحروف , نحو : ﴿ إن بنتهوا يغفر لهم ما قد سلف ﴾[٥] فإن حرف شرط أي بمعنى الشرطية , ووردت في آية ﴿ إن هذا لساحران ﴾[٦] فإن حرف ناسخ مخفف من إن , وفي أخرى ﴿ إن الكافرون إلا في غرور ﴾[٧] ف إن حرف نفي أي بمعنى النفي .

---

١. فصول في فقه العربية , د. رمضان عبد التواب , ص. ٣٢٦ .

٢. سورة المائدة: الآية (٦), الاشتراك والتضاد في القرآن , د. احمد مختار عمر, ص. ٦٥ ,ط. الاولى , م. عالم الكتب , ٢٠٠٣ م .

٣. سورة الدخان : الآية (٤٥) , المرجع السابق , ص. ٦٨ .

٤. سورة المدثر : الآية (٥٠ – ٥١) , المرجع السابق , ص. ٥٨ .

٥. سورة الأنفال : الآية (٣٨) , الاشتراك والتضاد في القرآن , د. احمد مختار عمر , ص. ٢١ .

٦. سورة طه : الآية (٦٣) , المرجع السابق .

٧. سورة الملك : الآية (٢٠) , المرجع السابق .

وشاهد المشترك اللفظي في الحديث . قال سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل , قلت يا رسول الله , إن أبي كان على ما رأيت على ما رأيت وبلغك , أفلا استغفر له ؟ قال : " بلى , فإنه يبعث يوم القيامة أمة وحده " .والأمة : الواحد المنفرد بالدين . والأمة بمعنى : الجماعة , كحديث : " لولا أن الكلاب أمة تسبح لأمرت بقتلها " .والأمة : الحين من الزمان , كقول الأغشى :[١]أتذكر بعد أمتك النوارا وقد قنعت بنو شيب عذارا .

---

١. المشترك اللفظي اللغوي نظرياً وتطبيقياً , د. توفيق محمد شاهين , ص. ٢٥٤ .

المبحث الثاني : أسباب نشأة المشترك اللفظي

ويمكننا أن نلخص عوامل نشأة المشترك اللفظي في العربية عموماً فيما يلي :

اولاً : اختلاف اللهجات العربي القديمة واللغات :

بأن تختلف كل قبيلة عن الأخرى في استعمال الالفاظ للدلالة على معان , فلما اختلف الاستعمال لديهم جاء جامعوا اللغات فضموا هذه المعاني بعضها الى بعض بدون أن يعنوا في كثير من الأحوال بإرجاع كل معنى الى القبيلة التي كانت تستخدمه , وبعض أمثلته كانت تختلف معانيه كذلك في الأصل باختلاف القبائل , ولكن معانيه المختلفة قد انتقلت فيها بعد إلى لغة قريش , وأصبح يطلع فيها على جميع هذه المعاني .ويؤيد مسألة الوضع أن العلماء كانوا يدركون المعاني التي تدور حول اللفظ الواحد , ثم يدركون ايضاً الفرق متى اختلفت الصيغة , وهذه الألفاظ منقولة إلينا في المعنيين من غير نص على اختلاف الوضع , مثل (اليد) تطلع على الذراع كله وتطلع على اخرى في الساعد والكف , ولدى أخرى تطلق على الكف خاصة . اللهم إلا ما جاء نادراً مشار إلى القبائل التي كانت تطلق الكلمة , وفقد روى أبو زيد مثلاً , أن قبيلة (تميم) مانت تطلق كلمة (الألفت) على الأعسر , وهو الذي يعمل بيده اليسرى , كأن فيه التفاتاً من اليمين الى اليسار . أما قبيلة (قيس) , فكانت تطلق هذه الكلمة على الأحمق . ولعلها كانت تلحظ فيه التفاتا من الكيس إلى الحمق . كما تطلق عامة العرب على الذئب : (السرحان) و (السيد) , وهاتان الكلمتان عند هذيل على (الأسد) .مما تعد معناه في القرآن الكريم نتيجة الاختلاف اللهجي , نحو المعنى التي تختلف عما يستعمله قريش كلمة (وراء) في قوله تعالى : ﴿ فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ﴾[١] قال ابن عباس : المراد ولد ولد , وهو استعمال هذلي , ففي البرهان : " جاء رجل من هذيل ابن عباس فقال ابن عباس : ما فعل فلان ؟ قال : مات وترك اربعة من الولد وثلاثة من الوراء " أي من ولد ولده . ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ إني أراني أعصر خمرا ﴾ [٢] فالخمر في الآية : العنب في لغة أزد عمان , وهو في سائر الآيات بمعنى الشراب المسكر .واللغة فد تستمد الفاظاً من لغات أجنبية عنها , وذلك قد يسببه بجانب ألفاظاً أخرى فيها – قد تتحد معها في الصيغة – وجود المشترك اللفظي , وقد أشرا صاحب

شفاء الغليل إلى أمكان ذلك ككلمة (سكر) فإنها معربة وإن كانت في العربية مادة (سكر) بمعنى : أغلق , وفي القرآن الكريم ﴿ سكرت أبصارنا ﴾ [٣] . وفي العربية مادة (برج) وقد استعير (البرج) بمعنى : الحصن , من اليونانية , فإذا اشتقت كلمة من المادة العربية توافق الكلمة المنقولة عن اليونانية في الصيغة , وتختلف عنها في المعنى نشأ المشترك اللفظي .

ثانياً : المجاز :

---

١. سورة هود : الآية (٧١) .

٢. سورة يوسف : الآية (٣٦) .

٣. سورة الحجر : الآية (١٥) .

وقد يوضع اللفظ لمعنى حقيقي أصلي , ثم استعماله في معنى مجازي أي أن اللفظ الواحد لم يكن له إلا معنى واحد على سبيل الحقيقة ثم تضمن معان أخرى على سبيل الاستعارة والمجاز , وينسى أنه مجاز فيه , فينقل غلينا على أنه حقيقة في المعنيين : الحقيقي والمجازي .وهذا الاستعمال المجازي يظهر واضحاً في نحو كلمة (العين) يدل في الاصل على عضو الابصار في الانسان والحيوان , بدليل مقارنة اللغات السامية المختلفة , وهي من الأسماء القديمة فيها . أما العربية ففيها زيادة على هذا المعنى : الإصابة بالعين , وضرب الجرل في عينه , والمعاينة . وهذه كلها اشتقاقات فعلية من لفظ (العين) بمعناها القديم . ومن معانيها كذلك : المال الحاضر , لأنه يعاين كذلك , وبعكس المال الغائب الذي لا تراه العين . ومن معانيها : الجاسوس وربيئة الجيش وهو الذي ينظر لهم وهذا على التشبيه والمبالغة , فكأن الجاسوس والربيئة قد تحولا إلى عين كبيرة . لأن العين أهم أعضائها في عملها .فهذا الاستعمال المجازي للفظ الذي يخيله المحدثون ان هذا الرأي من اجتهاده , ومن بنات أفكاره , والحق أنه قديم . اشرا إليه ابن سيده في المخصص , وهو رأي الفارسي حين قال : ((أو تكون لفظة تستعمل لمعنى , ثم تستعار لشيء فتكثر وتصير بمنزلة الأصل)) [١]ويتخذه بعض النافين لوجود المشترك اللفظي دليلاً له على النفي , لكننا رأينا في الكلام على ذلك من قبل . بان نقول بالمجاز يقصد به المجاز بمعناه الواسع لا الضيق و كما هو مفهوم عند علماء البلاغة , وبالتالي فإن كثيراً مما عد حقيقة أو مجازاً لم يكن – في واقع التحقيق – كذلك . والسبب : أن المعنى الأصلي أحياناً ينسى , وأحياناً يحفظ في بطون المعجمات , وقد كان يلاحظ وحده حين أطلق للمرة الأولى . ثم جاءت بعض المصادفات المحضة التي قد تظل مجهولة لدينا في بعض جوانبها أحياناً كثيرة .فغيرت معنى اللفظ واستعملته في غير المراد الأصلي البدائي منه .

---

١. المشترك اللفظي واللغوي نظرياً وتطبيقياً , د. توفيق محمد شاهين , ص. ٥٧ .

والمجاز بمعناه الواسع أي ((أن للعرب المجازات في الكلام , ومعناها طرق القول ومآخذه , ففيها : الاستعارة والتمثيل , والقلب , والتقديم , والتأخير , والحذف , والتكرار , والإخفاء , والإظهار , والواحد , والجميع , وخطاب الاثنين , والقصد بلفظ الخصوص لمعنى العموم , وبلفظ العموم لمعنى الخصوص ... وبكل هذه المذاهب نزل القرآن))[١]ومن ذلك (الحوت) فهو في الاصل للسمك , ثم اطلق على احد ابراج السماء , وشاع ذلك حتى صار حقيقة فيه .ومثل هذا في القرآن كثيرة , منها كلمة (الأب) التي معناها الاصلي : الوالد , ثم انتقل معناها – بعلاقة المشابهة – الى معنى الجد والعم أو معنى المعلم والمربي . وبها جميعاً فسر قولهُ تعالى ﴿ إنا وجدنا ءابانا على أمة ﴾[٢] والشاهد فيه ايضاً كلمة " ثقال " التي جاء اصل معناها من الثقل المؤدي اله صعوبة الحركة , ثم اتسع معناها بعلاقة المشابهة ليدل على الشيوخ , والفقراء , والغرباء والكسالى , والضعفاء , واصحاب العيال . وبها جميعاً فسر قوله تعالى ﴿ انفروا خفافا وثقالا ﴾[٣] .

---

١. المشترك اللفظي اللغوي نظرياً وتطبيقياً , د. توفيق محمد شاهين , ص. ٧٧ .

٢. سورة الزخرف : الآية (٢٢) .

٣. سورة التوبة : الآية (٤١) .

ثالثاً : اختلاف الاشتقاق :

كان يؤدي القواعد الصرفية الى ان تتفق لفظتان في صيغة واحدة فينشأ من ذلك تعدد في معنى هذه الصيغة يؤدي الى جعلها من المشترك اللفظي مثل (وجد) من الوجدان بمعنى العلم بالشيء , او العثور عليه , فيقال : وجدت الضالة إذا عثرت عليها , ووجدت زيداً كريماً إذا علمته . كذلك من الموجدة بمعنى لغضب فيقال : وجدت عليه إذا غضبت , ومن الوجد بمعنى الحب الشديد , فيقال : وجدت به وجداً إذا هونه واخلص في حبه وقد صرح السيوطي في متابه مما اخذه من ابن درستويه قائلا ان هذه اللفظة من اقوى حجج من يزعم ان من كلام العرب ما يتفق لفظه ويختلف معناه . لان سيبويه ذكره في اول كتابه , وجعله من الأصول المتقدمة.

رابعاً : تطور المعنى :

فإذا تطور معنى اللفظ , وبقيت اصواته دون تغير ادى ذلك الى حدوث المشترك اللفظي . منها الاصول التي تشتق منها الالفاظ للدلالة على معان جديدة ذات معان عامة , لذلك فقد تستعمل للدلالة على مسميات مختلفة تشترك في تلك الصفة او ذلك المعنى العام .مثلاً : (الدليل) يقصد بها من يدل على الطريق , او من يطوف مع السائحين في عصرنا ليدلهم على الاماكن الجديدة بالزيارة . ويراد بها الكتاب الذي تطبعه دوائر السياحة في كل بلد , لدلالة الغريب على آثاره ومعالمه . ويقصد بها كذلك الحجة المنطقية والبرهان ... لأن هذه المسميات ينطبق عليها كونها دالة لقاصدها , وان كانت هي ذاتها مختلفة . وقد مثل بعض الباحثين لذلك بكلمة (الهجرس) فهي تعني : القرد في لهجة الحجاز , وتعبر عن الثعلب عند تميم على اسا انها كانت في الاصل تدل عند الفريقين على احد الحيوانين , ثم تغير هذا المعنى عند احدى القبائل لأمر طارئ على حياتها اللغوية .ولكن ادراك تطور المعاني امر غامض لا يكاد التاريخ اللغوي يسعفنا به . وكيفما كان الامر فان المعنى قد مرت به تطورات مختلفة , وتعاورت على اللفظ الواحد تغيرات متعددة كانت سبباً فيما يبدو في نشأة بعض الالفاظ التي تعد الان من المشترك اللفظي .وقد نشأ هذا التطور عرفياً , ((فيكون حقيقة لغوية في الاول وعرفية في الثاني ويصبح مشتركاً بينمها . ومنه الالفاظ الموضوعة في اللغة لمعنى , ثم استعملت في الاصلاح الشرعي او القانوني لمعنى اخر , كلفظ الصلاة او لفظ الدفع , او لفظ الطلاق . فلفظ الصلاة في اللغة وضع للدعاء , وفي الشرع للعبادة المخصوصة , ففي قوله تعالى ﴿ وأقيموا الصلاة ﴾[١] يراد به المعنى الشرعي لا اللغوي . ولفظ الطلاق في اللغة وضع لحل او قيد , ووضع شرعاً لحل قيد الزوجية الصحيحة , فقوله تعالى ﴿ الطلاق مرتان ﴾[٢] يراد به معناه الشرعي لا اللغوي . ولفظ الدفع وضع في اللغة للسرعة في السير او الحديث , وفي الشرع للرد او لأداء الدين , وفي القانون للرد على دعوى المدعي , فيقال : دفوع الخصم , والدفع بعدم التنفيذ . فقوله تعالى ﴿ ادفع بالتي هي احسن ﴾[٣] اي ((رد بالأحسن والاكرم))[٤] .

---

١. سورة البقرة : الآية (٤٣) .

٢. سورة البقرة : الآية (٢٢٩) .

٣. سورة فصلت : الآية (٣٤) .

٤. الوجيز في اصول الفقه , أزد. وهبة الزحيلي , ص. ١٩١ , ط. الثانية , دار الفكر , دمشق , ١٩٩٥ م .

خامساً : تطور الصوتي :

فقد تتغير بعض اصوات اللفظ , او تحذف , او يزاد بعضها عليه فيتفق في صورته مع لفظ اخر يختلف عنه في المعنى فينشأ المشترك اللفظي . ((ان (السدفة) تكون بمعنى الضوء . وايضاً بمعنى الزلمة . ثم ذكر علماء الاضداد بعدئذ ان (الشدفة) بالشين . تختمل المعنيين ايضاً . هذا فضلاً عما جاء بكثرة في باب الإبدال . وقد فطن الاقدمون لعامل التطور الصوتي اذن وذكروا انه لم يكن من وليد الصدفة . وذكروا امثلته . وليس بصحيح اذن ما ذكره المحدثون من انهم لم يقطنوا له وإن كانوا لم يعنونوا له))[١] .مثل ذلك ما روي لنا , من ان (مرد) : اقدم وعتا , ومرد الخبز : لينه بالماء . واصل الكلمة بالمعنى الثاني هو : (مرث) . ففي المعاجم : (مرث الشيء في الماء : اقنعه فيه حتى صار مثل الحساء) . فقد ابدلت صوت الثاء هنا تاء , فصارت الكلمة : (مرت) , وهذه رويت لنا كذلك , ثم جهرت التاء لمجاورتها للراء , فصارت : (مرد) وبذلك ماثلت كلمة (مرد) بمعنى : أقدم وعتا . ومن ذلك (المحت) بمعنى الشديد , واليوم الحار , والخالص , مع ان (البحت) بمعنى الخالص ايضاً , والميم اخت الباء . مثل (لزب ولسب) , كما جاء في القاموس بمعنى اللصوق ولذع الحية والعقرب .ومثال ذلك ايضاً ما في المعاجم , من قولها : (الفروة : جلدة الرأس والغنى) . واصل الكلمة بمعنى الثاني , هو : (الثروة) أُبدلت الثاء فاء على طريقة العربية في مثل (جدث) و (جدف) و (حثالة) و (حفالة) أشبه ذلك .

١. المشترك اللفظي اللغوي نظرياً وتطبيقياً , د. توفيق محمد شاهين , ص. ٦٤ .

((ومن الامثلة كذلك , ما روته المعاجم , من ان (حنك الغراب) هو باطن اعلى الفم من داخل , و (حنك الغراب) شدة سواده , فإنه مما لا شك فيه ان (الحنك) بالمعنى الثاني متطورة عن (الحلك) بمعنى : شدة السواد . قلبت فيها اللام نوناً , كما أبدلت في مثل : إسماعيل وإسماعين , إسرائيل وإسرائين , وجبريل وجبرين , وغير ذلك))[١] .

١. فصول في فقه العربية , د. رمضان عبد التواب , ص.٣٣٣ .

المبحث الثالث : آراء العلماء في المشترك اللفظي

المطلب الاول : رأي اللغويين بين المنكرين والمثبتين :

١. رأي المثبتين :

قال بوقوعه طائفة كبيرة من العلماء , منهم الخليل , وسيبويه , والأصمعي , وأبو عبيدة , وأبو زيد , وأبو علي الفراسي وابن فارس وابن جني . واتعرف به فارس ومثل لهُ (بالعين) و (قضي) , كما ألف كتاباً في الرد على منكري الأضداد . وأفد بعضهم بتأليف مثل : الأصمعي وسيبويه وأبو عبيدة وغيرهم . ونبه ابن جني على حروف وأسماء ولأفعال لم يقتصر بها على معنى واحد . لأنها كما عبر (وقعت) مشتركة (وأنها : اتفق لفظها واختلف معناها)ولكنهم اختلفوا فيما بينهم في صفة الوقوع , هل ذلك يكون من جهة الوجوب , أو الأغلب أو إمكان الوقوع مطلقاً ؟ . وقول العلماء بأن المشترك اللفظي أمر ممكن الوقوع شائع ومشهور . ودليلهم على ذلك وجود الألفاظ التي وقع فيها الاشتراك في لغة العرب وأساليبهم ولا يمكن إنكارها . كما يقول الدكتور أنيس في عدم هذا الإنكار , ((لا معنى لإنكار المشترك اللفظي مهما روي لنا من الاساليب الصحيحة من امثلة كثيرة لا يتطرق اليها الشك))[١] وقد جاءت شواهد كفلق الصبح , وله من الاسباب ما يدعو لوجوده في اللغة من واضح او اكثر , فالقبائل العربية , وهي صاحبة اللغة . فالمشترك اللفظي واقع ملموس , وحقيقة لا خيال , وكثير لا قليل .

١. المشترك اللفظي اللغوي نظرياً وتطبيقياً , د. توفيق محمد شاهين , ص. ١٠٤ .

من تلك الشواهد , قول شيخ المفسرين الطبري , وهو يعلق على (الحفدة) في قوله تعالى : ﴿ بنين وحفدة ﴾[١] الحفدة : الخدم والاعوان . وقيل بنو المرأة من غير زوجها وقيل الأصهار , وأصل الحفدة : مداركة الخطر والاسراع في المشي , وانما يفعل هذا الخدم . ويقال في دعاء الوتر : (وإليك نسعى ونحفد) , اي نسرع . ويعلق بقوله : لم يدل الله بظاهر تنزيله , ولا على لسان رسوله ولا بحجة عقل , على انه بذلك نوعاً من الحفدة دون نوع , وهذا من فضل الله علينا ومن نعمه . بالكل داخل , إذ له وجه في الصحة ومخرج في التأويل [٢] .

٢. رأي المنكرين :

انكر فريق من العلماء وجود المشترك اللفظي في اللغة , ومنهم ابن درستويه , يقول هو مانعاً ((فاللغة موضوعة للإبانة عن المعاني , فلو جاز لفظ واحد للدلالة على معنيين مختلفين او احدهما لما كان ذلك إبانة بل تعمية وتغطية))[٣] . يرى ان اختلاف البنية ينفي الاشتراك والنقل أيضاً فمثل لفظ (وجد) لوجود شيء مطلقاً خيراً كان أم شراً , ولأن مصادره قد اختلفت ولو حكاها سيبويه في اول كتابه , انما هذه المعاني التي حكاها سيبويه في (وجد) كلها لشيء واحد , وهي اصابة الشيء خيراً كان أو شراً . ثم يمضي ابن درستويه فيقول : ((والمصادر كثيرة التصاريف جداً , وامثلتها كثيرة مختلفة , وقياسها غامض , وعللها خفية , والمفتشون عنها قليلون , والصبر عليها معدوم))[٤] فيخلص من ذلك الى : ((توهم اهل اللغة انها تأتي على غير القياس . لأنهم يضبطوا قياسها ولم يقفوا على غورها)) .

١. سورة النحل : الآية (٧٢) .

٢. المشترك اللفظي اللغوي نظرياً وتطبيقياً , د. توفيق محمد شاهين , ص. ١٠٥ .

٣. علم اللغة بين القديم والحديث , د. عبدالغفار حامد هلال , ص. ٢٩٠ .

٤. المشترك اللفظي اللغوي نظرياً وتطبيقياً , د. توفيق محمد شاهين , ص. ٦٧ .

وتمسك بعض النافين ايضاً بان المجاز والنقل لعبا دورهما , وان المجاز في النقل باق حتى بعد النقل , ونقول لهم : إنه مات في زحمة الاستعمال , والنقل في اللغة كالنسخ في الشريعة كما أسلفنا في البيان عنه سابقاً .

والرد على ابن درستويه نقول :[١]

١. يكفي ان سيبويه وهو من هو في تأصيل وتعقيد اللغة – اعتراف بالاشتراك للفظ في اول كتابه , وكذلك أعلام العلماء .

٢. وإجماله بأن المعاني كلها لشيء واحد , هو إصابة الشيء خيراً كان أو شراً , فهذا معنى فلسفي لا يتفق مع طبيعة اللغة , وإيغال في التنكير الشديد للفظة (وجد) .

٣. وما قاله من ان المصادر كثيرة التصاريف جدا وامثلتها كثيرة مختلفة وقياسها غامض ... كل ذلك حجة عليه لا له .

٤. وما حكاه من ان المفتشين عن علل المصادر الغامضة والخفية قليلون وصبرهم معدوم ينقضه ما لخصه صاحب تاج العروس في لفظي (الصلاة) و (وجد) فيما يؤكد وجود جهد في تحقيق معاني الالفاظ وإلا فماذا يفعل العلماء فوق ذلك للفظة واحدة .

روت الكثرة من العلماء وجود المشترك اللفظي في لفظ (وجد) وعارضت القلة في ذلك وما نظن أن كثرة تمدها ادلتها – تجتمع على غير صواب ولعل هذا كفاية وبرهان على ان لفظ (وجد) من ألفاظ المشترك اللفظي الذي تعتز به لغتنا , إذ للفظة الواحدة أكثر من معنى فلم ننكر هذا على لغتنا , وفيها ما يثبت ذلك .

---

١. المرجع السابق .

المطلب الثاني : رأي علماء الأصول في المشترك اللفظي :

عني علماء الاصول بكثرة من الالفاظ ودلالتها عناية كبيرة , وبدأت جل كتبهم يبحث البادئ اللغوية , لأن استنباط الاحكام من النصوص منوط ومحصوصا ما بحثوه من ابحاث اللغة , ونظموها , وجادلوا فيها , حتى وفوا المقام حقه . لأن منطلق الاحكام الشرعية والاستنباطات الفقهية والخلافات المذهبية من منطلق لغوي . وقد بحث الاصوليون في الدليل الشرعي من ناحيتين :[١]

١. دلالة اللفظ على المعنى , أي كيفية فهم المعنى الذي احتواه اللفظ , وهو النطق واللسان العربي , ومرده الى اللغة واللغويين .

٢. دلالة المعنى الذي احتواه اللفظ على القاعدة الشرعية , وهذه الناحية زائدة على أصل الوضع اللغوي . فللغويين والأصوليين صلة وثيقة . غذ أن الفاظ اللغة منطلقهم لفهم كتاب الله واستنباط الأحكام الشرعية . فكما اعترفوا الحقيقة الشرعية ' اعترفوا الحقيقة اللغوية والحقيقة العرفية العامة . ويفيد كل ذلك أن المشترك اللفظي واقع في اللغة العربية , وأن الاستعمال دليل الاشتراك , وأن النقل لا يبطل ذلك . والحق أن اشتغال الأصوليين باللغة ومبادئها ليس من الفضول كما قال بعضهم . فلقد رأوا أن الأحكام تنطلق من منطلق لغوي قبل كل شيء , ورأوا المعاني جدت في الشرع ولا بد لها من الفاظ . وقد صرح د. محمد فوزي فيض الله أن للأصوليين مواقف من اللغة لم تخرج من خمسة مواقف , هي : موقف الالتزام , وموقف الاختزال , وموقف التكميل , وموقف الترجيح , وموقف الأنشاء .[٢]

---

١. المشترك اللفظي اللغوي نظرياً وتطبيقياً , د. توفيق محمد شاهين , ص. ١٠٦ .

٢. المرجع السابق , ص. ١٠٨ .

وهناك مثالاً يوضح الاتجاه اللغوي للأصوليين في الترجيح اللغوي . بعد ان قرروا ان الاشتراك خلاف الاصل , واذا ورد في كلام الشارع يجب الاعتقاد بحقيقته والبحث عن المرجح لبعض معانيه بالصيغة نفسها او بدليل خارج منها . هذا ((مثال ترجيح أحد معنيي المشترك اللفظي بقرينة لفظية , فلفظ (القرء) في قوله تعالى : ﴿ والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ﴾[١]. رجح المالكية والشافعية معنى الطهر بقرينة , وهي لفظ (ثلاثة) التي ينبغي ان تكون عكس المعدود , وتأنيث اسم العدد دليل على ان يكون القرء عكس المعدود , وتأنيث اسم العدد دليل على ان المعدود مذكر وهو الطهر لا الحيضة . ورجح الحنفية والحنابلة معنى الحيض بقرينة اخرى , وهي ان لفظ (ثلاثة) خاص , والخاص يدل دلالة قطعية على ان مدة العدة ثلاثة قروء من غير زيادة ولا نقصان , وهذا لا يتحقق إلا إذا كان المراد بالقرء : الحيض))[٢]وأخيراً مع اثباتهم في المشترك اللفظي لم يكن اشتغالهم باللغة من الفضول , وإنما كان من الأصول والواجب .

---

١. سورة البقرة : الآية (٢٢٨) .

٢. الوجيز في أصول الفقه , أ.د. وهبة الزحيلي , ص. ١٩٢ .

الخاتمة

تلك هي جولة قصيرة وبحث سريع عن المشترك اللفظي وعرض عام من أسبابه وأراء العلماء فيه مع بعض الاختلافات التي قامت بينهم بين الإثبات والنفي , مع سرد الأمثلة التي يقع فيها الاشتراك من الكلام العربي .يبدو لنا ان كلاً من الفريقين مبالغ فيما ذهب إليه غلا يمكن انكار الاشتراك لوقوعه في ألفاظ العربية , ولورود الامثلة الكثيرة منها في النصوص والقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف . هذه الحقيقة تلائم ما رآه الدكتور محمد توفيق شاهين , حيث قال : ((فأمهات كتب الأدب واللغة التي وعت , وفحول العلماء هي التي حكت , والشواهد هي التي رجحت , واستعمالات اللغة هي التي جوزت , وطبيعة اللغة ومرونتها هي التي مررت , وقبائل العرب هي التي وضعت واستعملت , واللغة للإمتاع كما هي لغيره وللألغاز كما هي للجد والهزل))[١] فنخلص من ضمن عرضنا للبحث , أن المشترك اللفظي على خلاف الأصل , لكنهُ ورد بأساليب فصيحة لا سبيل إلى إنكارها . فقد حكم كثير من علماء اللغة بوقوعه في لغتنا , واطبقوا على ذلك , ويقوي هذا الحكم شهادة النحاة , واستعمال الادباء , وشرح العلماء , ورواية أمهات الكتب . فلا سبيل إلى إنكاره ولئن اسرف بعض المجوزين له بلا ضابط ولا رابط – أحياناً – وبغير رؤية وإمعان . فقد أسرف المنعون في القول بمنعه وعدم وقوعه في لغتنا .فالرأي الأجدر بالقبول هو التسليم بوجوده في اللغة مع عدم التوسع والمبالغة أي التوسط . فلا مغالاة ولا إنكار. والاعتدال هو الحل الوسط , وقد رضي ذلك كثير من العلماء المحدثين . لأن الظاهرة شائعة في لغتنا .فهذا ما يَسَرَهُ الله أن ابذل من جهدي في البحث عن المشترك اللفظي وما تلحق حوله من أسباب وآراء العلماء فيه . فما كان من صواب فهو منه وحده , ومن فضله علينا , فلهُ الحمدُ والمنة , وما كان من تقصير أو نسيان أو خطأ فهذا من نفسي ومن الشيطان , فأعتذر عنهُ . وأسال اله أن يجعلهُ خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به . والله أعلم بالصواب .

---

١. المشترك اللفظي اللغوي نظرياً وتطبيقياً , د. توفيق محمد شاهين , ص. ١٠٤ .

المصادر

اولاً : القرآن الكريم .

ثانيا : المصادر .

١- المشترك اللفظي نظرياً وتطبيقياً , دكتور توفيق محمد شاهين , الطبعة الاولى , مكتبة وهبة , القاهرة ١٩٨٠م .

٢- علم اللغة بين القديم والحديث , دكتور عبدالغفار حامد هلال , الطبعة الثالثة , مكتبة وهبة , القاهرة ١٩٩٨٩م .

٣- فصول في فقه العربية . دكتور رمضان عبد التواب , الطبعة السادسة , مكتبة الخانجي ,القاهرة, ١٩٩٩م .

٤- فقه اللغة , د. علي عبدالواحد وافي , ج. الرابع , الطبعة الاولى , مكتبة لجنة البيان العربي , ١٩٥٦م .

٥- الاشتراك والتضاد في القرآن , دكتور احمد مختار عمر , الطبعة الاولى , مكتبة , عالم الكتب , القاهرة ٢٠٠٣م .

٦- الوجيز في اصول الفقه , أ. د. وهبة الزحيلي , الطبعة الثانية , دار الفكر , دمشق , ١٩٩٥م .

٧- المزهر في علوم اللغة وانواعها , للعلامة السيوطي , ج . الاول , تح . محمد أبو الفضل إبراهيم , المكتبة العصرية , بيروت ٢٠٠٩م .

هوامش البحث

١. عليم اللغة بين القديم والحديث , د عبدالغفار حامد هلال , ص. ٢٨٦ .

٢. المشترك اللفظي اللغوي نظرياً وتطبيقاً , د . توفيق محمد شاهين , ص.٢٧ , ط. الأولى , م. وهبة, ١٩٨٠ م .

٣. فصول في فقه العربية , د. رمضان عبد التواب , ص. ٣٢٤, ط. السادسة, م. الخانجي, ١٩٩٩ .

٤. علم اللغة بين القديم والحديث, د. عبدالغفار حامد هلال, ص. ٢٨٦ .

٥. فقه اللغة, د. عبدالواحد وافي, ص. ١٨٣ .

٦. المشترك اللفظي اللغوي نظرياً وتطبيقياً , د. توفيق محمد شاهين, ص٢٨ .

٧. المرجع السابق , ص. ٢٩ .

٨. المشترك اللفظي اللغوي نظرياً وتطبيقياً , دز توفيق محمد شاهين , ص. ٣٠ .

٩. المزهر . للسيوطي , ص. ٢٩٨ .

١٠. المرجع السابق , ص. ٢٩٩ .

١١. فصول في فقه العربية , د. رمضان عبد التواب , ص. ٣٢٦ .

١٢. سورة المائدة: الآية (٦), الاشتراك والتضاد في القرآن , د. احمد مختار عمر, ص. ٦٥ ,ط. الاولى , م. عالم الكتب , ٢٠٠٣ م .

١٣. سورة الدخان : الآية (٤٥) , المرجع السابق , ص. ٦٨ .

١٤. سورة المدثر : الآية (٥٠ – ٥١) , المرجع السابق , ص. ٥٨ .

١٥. سورة الأنفال : الآية (٣٨) , الاشتراك والتضاد في القرآن , د. احمد مختار عمر , ص. ٢١ .

١٦. سورة طه : الآية (٦٣) , المرجع السابق .

١٧. سورة الملك : الآية (٢٠) , المرجع السابق .

١٨. المشترك اللفظي اللغوي نظرياً وتطبيقياً , د. توفيق محمد شاهين , ص. ٢٥٤ .

١٩. سورة هود : الآية (٧١) .

٢٠. سورة يوسف : الآية (٣٦) .

٢١. سورة الحجر : الآية (١٥) .

٢٢. المشترك اللفظي واللغوي نظرياً وتطبيقياً , د. توفيق محمد شاهين , ص. ٥٧ .

٢٣. المشترك اللفظي اللغوي نظرياً وتطبيقياً , د. توفيق محمد شاهين , ص. ٧٧ .

٢٤. سورة الزخرف : الآية (٢٢) .

٢٥. سورة التوبة : الآية (٤١) .

٢٦. سورة البقرة : الآية (٤٣) .

٢٧. سورة البقرة : الآية (٢٢٩) .

٢٨. سورة فصلت : الآية (٣٤) .

٢٩. الوجيز في اصول الفقه , أزد. وهبة الزحيلي , ص. ١٩١ , ط. الثانية , دار الفكر , دمشق , ١٩٩٥ م .

٣٠. المشترك اللفظي اللغوي نظرياً وتطبيقياً , د. توفيق محمد شاهين , ص. ٦٤ .

٣١. فصول في فقه العربية , د. رمضان عبد التواب , ص.٣٣٣ .

٣٢. المشترك اللفظي اللغوي نظرياً وتطبيقياً , د. توفيق محمد شاهين , ص. ١٠٤ .

٣٣. سورة النحل : الآية (٧٢) .

٣٤. المشترك اللفظي اللغوي نظرياً وتطبيقياً , د. توفيق محمد شاهين , ص. ١٠٥ .

٣٥. علم اللغة بين القديم والحديث , د. عبدالغفار حامد هلال , ص. ٢٩٠ .

٣٦. المشترك اللفظي اللغوي نظرياً وتطبيقياً , د. توفيق محمد شاهين , ص. ٦٧ .

٣٧. المرجع السابق .

٣٨. المشترك اللفظي اللغوي نظرياً وتطبيقياً , د. توفيق محمد شاهين , ص. ١٠٦ .

٣٩. المرجع السابق , ص. ١٠٨ .

٤٠. سورة البقرة : الآية (٢٢٨) .

٤١. الوجيز في أصول الفقه , أ.د. وهبة الزحيلي , ص. ١٩٢ .

٤٢. المشترك اللفظي اللغوي نظرياً وتطبيقياً , د. توفيق محمد شاهين , ص. ١٠٤ .